

خطبة الجمعة - الخطبة ٩٣٠ : خ١- اتق الله حيثما كنت- خ٢- الأخلاق والدعوة ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٢٠٧-٢٠٠٤

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به، ونسترشد، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مُضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً، صلى الله عليه وسلم، رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن وآله، ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### اتق الله حيثما كنت :

أيها الإخوة الكرام، محور هذه الخطبة:  
وصية من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصية جامعة مانعة،  
وصية موجزة، وصية فيها قواعد كثيرة  
في التعامل مع الله تعالى، والتعامل مع النفس، والتعامل مع الناس.

والنبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده، بينما أمته معصومة  
بمجموعها، وهو لا ينطق عن الهوى،



إن هو إلا وحي يوحى، كلامه وحي غير متنلو، والقرآن الكريم وحي متنلو.

والوصية بين أيديكم تسمعونها كل يوم، لكن لو تأملنا في دقائقها، وتتأملنا في جنباتها، لوجدناها قواعد جامعة تتعلق بعلاقتك أيها الإنسان بالله تعالى، وبعلاقتك بنفسك، وبعلاقتك بمجتمعك.

الوصية هي:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(( اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخلق الناس بخلق حسن ))

[ حدیث حسن، أخرجه الترمذی ]

(( اتق الله حيثما كنت ))

هذه علاقتك بالله تعالى.

(( وأتبع السيئة الحسنة تمحها ))

هذه علاقتك بنفسك.

(( وخلق الناس بخلق حسن ))

هذه علاقتك بالمجتمع.

وعلاقاتك مهما تنوّعت، ومهما تعددت، ومهما كثرت، فلا تزيد على هذه الأبواب الثلاثة: علاقتك بالله، وعلاقتك بنفسك، وعلاقتك بالمجتمع.

**أولاً: علاقتك بالله عز وجل :**

(( اتق الله حيثما كنت ))

أين أنت؟

أنت في ملك الله، وأنت في قبضة الله.

وأينما ذهبت، إلى أي بلد، أو إلى أي مكان، فالله عز وجل معك، معك بعلمه، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

( سورة الحديد : الآية ٤ )

قال علماء التفسير: معية الله العامة تعني علمه.

إذاً: الإنسان في ملك الله، وفي قبضة الله، ولن يخرج عن قدر الله أيّ إنسان كان، حتى لو كان كافراً:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ﴾

( سورة العنكبوت : الآية ٤ )

معنى يسبقونا، أي: إنهم ليسوا في قبضة الله، أو أنهم يفعلون ما يشاؤون، ولا ينالون عاقبهم من الله، وهذا ما تتفيه الآية.

الحقيقة الأولى أيها الإخوة:



يجب أن تؤمن إيماناً قاطعاً أنك في قبضة الله، وأنك في ملك الله، وأن الله سبحانه وتعالى يعلم أحوالك كلها، إن تكلمت فهو سميع، وإن سكت فهو عليم، وإن تحركت فهو بصير.

خ١- اتق الله حيثما كنت - خ٢- الأخلا

إِنْ نَطَقْتُ بِكَلَامٍ فَهُوَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ، وَإِنْ سَكَتْتُ وَحَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ، وَإِنْ تَحَرَّكْتَ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَصِيرٌ.

حينما تؤمن أن الله معك حيثما كنت، حينما تؤمن أن الله يعلم، وأن الله سيحاسب، وأن الله سيعاقب، فقد حرفت الحد الأدنى من الإيمان.

الآية الدقيقة التي تبين أن الله معك دائمًا بعلمه:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

(سورة الحديد : الآية ٤)

لكن الله عز وجل حينما يقول: إن الله مع المتقين، مع المحسنين..  
فهذه المعية الخاصة، وتعني أنه معكم بحفظه وتايده، ونصره وتوفيقه.  
والنبي عليه الصلاة والسلام بين أن مرتبة الإحسان تأتي بعد مرتبة الإيمان.  
أدنى هذه المراتب الإسلام: الخضوع لمنهج الله.  
بعدها تأتي مرتبة الإيمان: الإقبال على الله، والاتصال به.  
وبعدها تأتي مرتبة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.  
أيها الإخوة الكرام، المؤمن الحق لا يتورّم أنه في خلوة:  
إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقلْ خلوتَ، ولكن قلْ: عليّ رقيب

حينما تشعر أن الله معك في خلوتك وفي جلوتك، حينما تحدث نفسك بكلام، وتعلم أن الله مطلع عليه، فهو يعلم السر وأخفى، يعلم ما تتطق، ويعلم ما تخفي، ويعلم ما خفي عنك، حينها تتضبط وتقبل.

وقد قال بعض العلماء: علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

كل شيء يخفى عنك يعلمه الله عز وجل، لذلك قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَ فَنَكُونَ مِنَ الْمُعْذَبِينَ (\*) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (\*) وَاحْفَظْ جَاهَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (\*) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (\*) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَفِيرِ الرَّحِيمِ (\*) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (\*) وَتَقْبَلْكَ فِي السَّاجِدِينَ (\*)

(سورة الشعراء ٢١٣-٢١٩)

وأنت في خلوتك، وأنت في بيتك، وأنت في متجرك، وأنت في مكتبك، وأنت في سفرك، وأنت في إقامتك، وأنت في فرحك، وأنت في حزنك، وأنت في أدق العلاقات بينك وبين زوجتك، الله عز وجل يعلم كل شيء، حينما تعلم أن الله يعلم تتضبط وتقبل.

ما لا نؤاخذ به :

أيها الإخوة الكرام، لكن النبي عليه الصلاة والسلام، رحمةً بنا من قبل مولانا جل جلاله، يقول:

(( إنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِمَتَّيْ مَا حَدَثَ بِهِ أَنفُسَهَا، مَا لَمْ يَعْلُمُوا بِهِ أَوْ يَكْلُمُوا ))

[Hadith صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

أي الخواطر، والحديث الداخلي، هذا لا نؤاخذ به إلا إذا انقلب إلى عمل، أو إذا انقلب إلى كلام فالكلام من عمل الإنسان، وحينما تعتقد أن كلامك جزء من عملك ينضبط لسانك:

(( إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْلُمُ بِالْكَلْمَةِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ ))

[Hadith صحيح، أخرجه الترمذى]

(( إِنْ قَذَفَ الْمَحْصَنَةَ يَهْدِمُ عَمَلَ مائِةِ سَنَةٍ ))

[Hadith رواه الطبراني والبزار وفيه رجل ضعيف]

حينما تعتقد أن كلامك من عملك، حينئذ ينضبط لسانك، ولا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه.

إذاً: الخواطر التي تتأتى للإنسان، أو خطارات النفس، أو الحديث الداخلي، هذا لا نحاسب عليه ما لم ينقلب إلى كلام، وهو عمل من أعمال اللسان، أو إلى سلوك من أفعال الجوارح. ولكن أيها الإخوة، هذه الوساوس والخطرات إن لم نعُبُّ بها، ولم نلق لها بالاً، قد تتحول إلى همة، والهمة إلى عزم، والعزم إلى إرادة، والإرادة إلى فعل، وهنا المشكلة.

لا نحاسب عليها، لكن ينبغي أن نكافحها، فإذا كان هذا الخاطر من أبواب الأمور العملية انقلب الخاطر إلى معصية.

من خاطرة، إلى فكرة، إلى همة، إلى عزيمة، إلى إرادة، إلى فعل. وأما إن كانت هذه الخواطر من باب الاعتقادات، فمن خاطرة، إلى فكرة، إلى همة، إلى عزيمة، إلى شبهة، إلى كفر، إلى مروق من الدين.

فالأفكار التي لا ترضي الله عز وجل ينبغي أن تكافحها، مع أنك لست محاسباً عليها، لكنها إذا تفاقمت انقلبت إلى عمل، أو انقلبت إلى شرك، أو انقلبت إلى مروق من الدين.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾

(سورة الإسراء : الآية ٣٦)

ما يصل إلى سمعك يجب أن تدقق فيه، ما يصل إلى بصرك ينبغي أن تدقق فيه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول عن رب العزة جل وعلا:

(( .. وَلَا يَزَالْ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحِبَّتْهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الذِّي يَسْمَعُ بِهِ،

وَبَصَرَهُ الذِّي يَبْصِرُ بِهِ، وَيَدِهُ الذِّي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلِهُ الذِّي يَمْشِي بِهَا .. ))

[من Hadith صحيح، أخرجه البخاري]

أي لا يمشي إلا إلى خير، ولا يبطش إلا بالحق، ولا يسمع إلا كلاماً متواافقاً مع منهج الله، ولا يقبل غير ذلك، ولا يرى إلا بنور الله.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا ﴾

(سورة الإسراء : الآية ٣٦)

### (( اتق الله حيثما كنت ))

المعنى الآخر: في أي مكان كنت، في بلدك، بين أهلك، وعليك رقباء كثُر، أو في السفر حيث لا رقيب، وتفعل ما تريده، فاتق الله حيثما كنت. وكثير من البلاد التي تجبر رعاياها على الصلاة، إذا سافروا إلى بلاد بعيدة تركوا الصلاة، وارتكبوا الموبقات، هذا ليس ديناً.

### (( اتق الله حيثما كنت ))

في خلوتك، في جلوتك، في إقبال الدنيا، في إدبارها، في بلدك، في بلد بعيد، في أي مكان كنت ينبغي أن تتقى الله. وبعض العلماء أضاف إلى هذا المعنى: وفي أي مكانة كنت. في أي مكان، وفي أي مكانة.

في مكان عالٍ، في مرتبة عالية، أنت يمكن أن تكون في الأرض، اتق الله. أنت غني اتق الله، أنت قوي، اتق الله، أنت في موسم التوجيه والإرشاد، وفي غيره، اتق الله. في أي مكان كنت، وفي أي مكانة كنت، لأن الآية الكريمة تقول:

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

(سورة البقرة : الآية ١٤٨)

فَمَا تزال سهـام الموت نافذـةً فـي جـنـب مـدـرـع مـنـهـا و مـتـرسـ  
أـرـاك لـسـت بـوـقـافـ وـلـا حـذـرـ كـالـحـاطـبـ الـخـابـطـ الـأـعـوـادـ فـيـ الغـسـ  
تـرـجوـ النـجـاةـ وـلـم تـسـلـكـ مـسـالـكـهـاـ إـنـ السـفـينـةـ لـا تـمـشـيـ عـلـىـ الـيـبـسـ

### من علامات الإيمان :

أيها الإخوة الكرام، من علامات الإيمان أنه يشعرك أن الله معك دائمًا في أي مكان، وفي أي مكانة كنت.

أحياناً، القوة تنسى الخوف من الله، أحياناً، كثرة المال تنسى الالتزام بالمنهج، فإن كنت غنياً أو قوياً أو في موضع تتجه أبصار الناس إليك، أو إذا كنت فقيراً أو ضعيفاً أو مريضاً، أو إذا كنت في بلدك أو في غير بلدك، حيثما كنت، اتق الله.

### ثانياً: علاقتك بنفسك :

أيها الإخوة الكرام، القاعدة الثانية في هذه الوصية التثمينة:

### (( وأتبع السيئة الحسنة تمها ))

أيتها الإخوة الكرام، أودع الله فيما الشهوات، لنرقى بها تارةً صابرين، وتارةً شاكرين، إلى رب الأرض والسماءات.

هذه الشهوات، أيها الإخوة، حيادية، يمكن أن تتحرك من خلالها مئة وثمانين درجة، لكن منهج الله عز وجل حدد لك الحركة، فأي شهوة أودعت في الإنسان لا يستطيع المؤمن أن يمارسها إلا وفق منهج الله، بدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضْلَلُ مِنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

(سورة القصص : الآية ٥٠)

المعنى المخالف: إنك لو اتبعت هواك وفق هدى الله عز وجل فلا شيء عليك.

إذاً: هذه الشهوات حيادية، إما أن تكون سلماً نرقى به، أو دركات نهوي بها.

آلية الكريمة أيها الإخوة:

﴿رَزَّيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْتَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ  
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٤)

لكن أيها الإخوة الكرام، الإنسان يعيش ساعة وساعة، فهناك ساعة تألق، وهناك ساعة فتور، ويخشى في ساعة الفتور أن تزل قدمه، لذلك:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(( كُلُّ بَنِي آدَمْ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ ))

[ الحديث أخرجه الترمذى بإسناد حسن ]

فالمعصوم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن أولياء الله محفوظون، بمعنى أن المعصية لا تضرهم، لأنهم سريعاً يتراجعون فوراً، يتوبون إلى الله فوراً.

لذلك الأنبياء معصومون، والأولياء محفوظون، لأنهم يعرفون طريق التوبة سريعاً، والمؤمن تواب، أي: كثير التوبة.

لذلك أيها الإخوة الكرام، الإنسان إذا زلت قدمه لابد من أن يتوب، وقد أخبرنا الله عز وجل، وهذه بشارة للمؤمنين حيث يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الألفاف : الآية ٣٣)

مادام منهج الله مطبقاً في حياتهم، مطبقاً في بيئتهم، مطبقاً في تربية أولادهم، في كسب أموالهم، في اختيار زوجاتهم، في حركتهم في الحياة، في عطائهم، في منعهم، في غضبهم، في رضاهم.

madam سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبقة في حياة المسلمين، فهم في بحبوحة، وفي مأمن من عذاب الله، لكن رحمة الله عز وجل تقتضي أنك إذا أخطأت، وندمت، واستغفرت، فأنت في

بحبوحة أخرى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

( سورة الأنفال : الآية ٣٣ )

إذا :

### (( وأتبع السيئة الحسنة تمحها ))

الإنسان إذا أذنب ينبغي أن يستغفر، وإذا أذنب ينبغي أن يتوب، وإذا أذنب ينبغي أن يتبع السيئة الحسنة، ولكن أيها الإخوة:

التوبة الأولى من الذنب هينة جداً، أما حينما تقع في الذنب مرة ثانية، وتشعر أن حجاباً شائياً بينك وبين الله، فلابد أن تضيف إلى التوبة والاستغفار عملاً صالحاً يرمي الخلل الذي نتج عن هذه المعصية.

لذلك :

### (( وأتابع السيئة الحسنة تمحها ))

بمعنى أنك حينما تشعر أنك عدت إلى الذنب مرة ثانية، وأنه شائياً بينك وبين الله حجاب، فلا يكفي أن تعيد التوبة مرة ثانية، ينبغي أن تضيف إلى التوبة حسنة ترمي هذا الخطأ. فالإنسان قد ينفق من ماله صدقة يرمي بها سيئة، وقد يصوم صياماً نفلاً يرمي بهذا الصوم سيئة، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

### (( وأتابع السيئة الحسنة تمحها ))

لأن الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ الْسَّيِّئَاتِ ﴾

( سورة هود : الآية ١١٤ )

### (( كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَاطَّائِينَ التَّوَابُونَ ))

[ حديث أخرجه الترمذى بإسناد حسن ]

إذاً: باب التوبة مفتوح على مصراعيه، بل إن الله عز وجل يقول:

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾

( سورة النساء : الآية ٢٧ )

فالفقرة الثانية من الحديث أيها الإخوة، تعني: أنك تراقب نفسك، أنك تتعاهد قلبك، أنك تتأمل وضعك مع الله عز وجل، هل هناك حجاب؟ هل الطريق إلى الله سالك؟ هل إقبالك على الله جيد؟ هل صلاتك تتعقد صحيحة الله عز وجل؟ هل تشعر أنه بينك وبين الله حجاب؟ الفقرة الثانية في الوصية تعني: ينبغي أن تتعاهد قلبك، لأن تهمل هذا القلب، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (\*) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

( سورة الشعراء : ٨٩، ٨٨ )

قال العلماء: القلب السليم هو القلب الذي سلم من شهوة لا ترضي الله، والقلب السليم هو القلب الذي سلم من عقيدة تتناقض مع وحي الله، والقلب السليم هو القلب الذي سلم من تحكيم غير شرع الله، والقلب السليم هو القلب الذي سلم من عبادة غير الله:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (\*) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(سورة الشعراe ٨٩، ٨٨)

الفكرة الأولى في الوصية الشريفة: أن تعبد الله، وأن تتقى الله عز وجل حيثما كنت، في أي مكان، وفي أية مكانة.

الفكرة الثانية من الوصية: أن تتعاهد قلبك، أن تتأمل هل أنت مقبل أم مدبر؟ هل أنت متصل أم منقطع؟ هل الطريق إلى الله سالك أم مقطوع؟ هل تشعر أنك في رضا الله تتحرك أم في سخط الله تمشي؟

هذه الحقيقة الثانية ماذا تعمل من أجلها؟

(( وأتبع السيئة الحسنة تمحها ))

لعلك أخطأ، لعله زلت قدمك، لعلك انحرفت مسيرتك، فلا بد من أن تصحو قبل فوات الأوان، لذلك قال بعض التابعين: التقيت مع أربعين صاحبياً، ما منهم واحد إلا ويظن أنه منافق. من شدة محاسبته لنفسه.

بل إن بعضهم يقول: المؤمن يتقلب في اليوم الواحد بين أربعين حالاً، بينما المنافق يستقر على حال واحد أربعين سنة.

لأنه لا يعتني بقلبه، ولا يهتم بصلته، ولا يدقق في سلوكه، فهو ساء لاء، في غفلة. أيها الإخوة الكرام:

(( اتق الله حيثما كنت ))

هذه علاقتك بالله تعالى.

(( وأتبع السيئة الحسنة تمحها ))

هذه علاقتك بنفسك.

**ثالثاً: علاقتك بمجتمعك :**

(( وخلق الناس بخلق حسن ))

هذه علاقتك بالمجتمع.

أيها الإخوة الكرام، إن هناك تلازمًا ضروريًا بين الدين الصحيح والخلق القويم، والنبي عليه الصلاة والسلام



حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته فقال:  
(( .. وإنما بعثت معلماً ))

[ من حديث أخرجه الحارث في مسنده بإسناد ضعيف ]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
(( بعثت لأنتم صالح الأخلاق ))

[ حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه ]

هذا الدين العظيم فسره النبي بالخلق الحسن: إنما بعثت هذه البعثة المحمدية، هذه الرسالة الخاتمة، لأنتم مكارم الأخلاق.

أيها الإخوة الكرام، وهو أيضاً بعث معلماً لحكمة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:  
(( علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف ))

[ حديث أخرجه الحارث في مسنده بإسناد ضعيف ]

والآيات تؤكد هذه الحقيقة:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (\*) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ ﴾

( سورة الماعون ٢٠١ )

هذا تلازم بين التدين الصحيح والخلق القويم:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

( سورة القصص : الآية ٥٠ )

أيها الإخوة الكرام:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال:  
(( لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ))

[ حديث أخرجه أحمد، وفيه رجل مختلف فيه ]

هذا تلازم أيضاً بين الخلق القويم والإيمان الصحيح.

وفي حديث آخر:

(( الحياة والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر ))

[ حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه ]

الإيمان إليها الإخوة أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر.

## علاقة الخلق بالإيمان :

أيها الإخوة الكرام، سأروي لكم عدداً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة التي تتحدث عن الخلق وعلاقته بالإيمان.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(( أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ حُلُقًا .. ))

[ من حديث صحيح، أخرجه الترمذى ]

قمة الإسلام أن تكون ذا خلق، وقمة الإيمان أن تكون ذا خلق، وإن من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً.

العبد الذي يحبه الله عز وجل أكثر من غيره هو الحسن في أخلاقه، وإن من أقرب المؤمنين مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة أحسنهم خلقاً، أقرب إنسان يوم القيمة من رسول الله أحسنهم خلقاً، أكمل المسلمين إسلاماً أحسنهم خلقاً، أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن خير ما أعطي الإنسان خلق حسن، أكبر عطاء يناله إنسان من الله الخلق الحسن.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(( ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن ))

[من حديث صحيح، أخرجه أبو داود والترمذى]

أوزن شيء في ميزان الحسنات والسيئات الخلق الحسن.

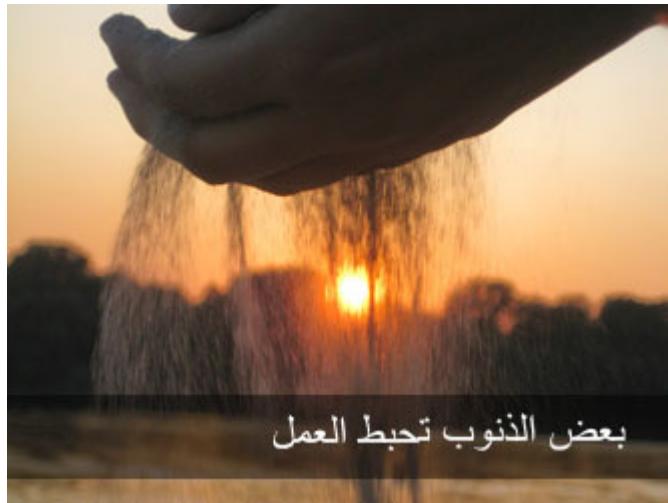
وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(( إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ))

[حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

صائم في النهار، قائم في الليل، عبادة شاقة تحصل مثلها بالخلق الحسن.

بل إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، درجات الآخرة ينال أعلىها من كان ذا خلق حسن.



والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

أيها الإخوة الكرام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً:

(( أتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ

وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقفن هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخْذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم والترمذى]

ما قولكم؟ هذا حديث في صحيح مسلم، فلذلك أنها الإخوة ورد أيضاً:

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(( لأعلم أقواماً من أمتي، يأتون يوم القيمة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ))

[ حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه ]

يجب أن تؤمنوا أن الذي يقوله النبي عليه الصلاة والسلام حق مطلق، لأنه لا ينطق عن الهوى.  
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
(( عذبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ))

[ حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم ]

ومن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال:

(( يا رسول الله إن فلانة، ذكر من كثرة صلاتها وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: هي في النار، قال: إن فلانة، ذكر من قلة صلاتها وصيامها وإنها ما تصدق بأثوار أقط، غير أنها لا تؤذى جيرانها، قال: هي في الجنة ))

[ حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه ]



الرحمة سمة المؤمن

أرأيتم من خلال هذه الآيات والأحاديث إلى مكانة الخلق في الإسلام؟  
قال بعض العلماء: الإيمان هو الخلق، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.  
الذي يجذب الناس إلى الدين الخلق الحسن، الحكمة، الرحمة، التواضع، اللطف، الإيثار،  
الإنصاف، الورع، وركعتان من ورِع خير من ألف ركعة من مخلط.

**معاني هذه الوصية العظيمة :**

أيها الإخوة الكرام:

**(( اتق الله حيثما كنت ))**

في أي مكان، وفي أي مكان، وفي أي حال، في الفقر وفي الغنى، في القوة وفي الضعف، في مرتبة علمية عالية، ومرتبة علمية متدنية، في إقبال الدنيا وفي إدبارها.

**(( اتق الله حيثما كنت ))**

أيْ : أطع الله، طبق منهج الله عز وجل.  
كلما سألني أحد الإخوة الكرام أن أنصحه، وهو مقبل على السفر أقول له نصيحة واحدة، ليس  
عندني غيرها: أطع الله عز وجل.

### (( اتق الله حيثما كنت ))

هذه علاقتك بالله.

### (( وأتبع السيئة الحسنة تمحها ))

إذا زلت قدمك وأخطأت فبادر إلى التوبة، فإن رأيت التوبة لا تستطيع أن تعيدك إلى ما كنت عليه لأنك وقعت في الذنب مرة أو مرتين فأتابع السيئة الحسنة تمحها.  
صابون الذنوب التوبة والاستغفار والحسنات، وتشعر أنك عدت إلى ما كنت، وهذا الخلل قد رمم، وهذا الشرخ الذي في علاقتك مع الله قد صُحّح.  
أيها الإخوة الكرام، شيء آخر:

### (( وخلق الناس بخلق حسن ))

هذا المنهج العظيم لو حمله رجال غلاظ في إلقاءهم للعلم، أو في معاملتهم للناس لنفر الناس منهم،  
بدليل أن سيد الخلق، وحبيب الحق المعصوم، سيد ولد آدم الذي أُوتى المعجزات، أُوتى الوحي،  
مع كل هذه الخصائص، قمة في الكمال، قمة في الفصاحة، قمة في كل شيء، قال الله له:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا لَّا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٥٩)

ولو كنت فظاً مع أنه يوحى إليك، ولو كنت فظاً مع أنك تملك المعجزات، ولو كنت فظاً مع أنك  
فصيح اللسان:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا لَّا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِهِمْ فِي الْأَمْرِ  
فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٥٩)

أيها الإخوة الكرام:

المؤمنون ملکوا القلوب بكمالهم، والأقواء ملکوا الرقاب بقوتهم، وشنان بين أن تملك الرقاب وبين  
أن تملك القلوب.

الأنبياء مضى على انقالهم إلى الرفيق الأعلى آلاف السنين، وكلما ذكر النبي عليه الصلاة  
والسلام اضطراب القلب محبة له، لأنه ملك القلوب، والأقواء وهم بين ظهراني أمتهن ملکوا  
الرقاب، ولكن القلوب معرضة عنهم، فالبطولة أن تملك القلوب، لا أن تملك الرقاب، والناس  
جميعاً أتباع نبي أو قوي، فالذي يتبع النبي عليه الصلاة والسلام سلاحه الكمال واللطف والتواضع  
والإنصاف والعدل والرحمة والإخلاص، والذي يملك قوة، فسلاحه قوته.

أيها الإخوة الكرام:

كان عليه الصلاة والسلام أرأف الناس بالناس، كان قدوة لكل المؤمنين:  
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(سورة الأحزاب : الآية ٢١)

## وأخيراً :

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا، وسيتخطى علينا، فلتتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*

## الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولهم الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الأخلاق والدعوة :



أيها الإخوة الكرام، الذي يجذب الناس إلى الدين خلق المؤمن، قد لا يجذبهم فكر المؤمن، ولا طرح فكرة عميقه دقيقة، هذا شيء جيد، ولكن الذي يجعل قلوبهم تميل إلى المؤمنين أخلاق المؤمنين، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام تتمتع بقدرات هائلة، كان يحفظ القرآن من قراءة واحدة:

﴿سَتُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

(سورة الأعلى : الآية ٦)

أوتي فصاحة ما بعدها فصاحة، أوتي حكمة ما بعدها حكمة، ولكن الله حينما أثني عليه أثني على خلقه فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(سورة القلم : الآية ٤)

لأن الخلق كسيبي، القدرات الخاصة التي متعك الله بها هذه من عند الله، ولا فضل لك بها، ولكن الخلق الحسن من كسب الإنسان، أي بشكل أو بآخر لا يعقل أن يمنح الأب ابنه سيارة، ثم يقيم له حفل تكريمه لاكتسابه هذه المركبة، هذه من عند الأب، لكن سهل جداً أن يقام للابن حفل تكريمه لنيله الدرجة الأولى في امتحان معين، هذا من كسبه، من جهده، لذلك الذي يرقى بك عند الله الخلق الحسن، وهو أفعل في النفوس من فعل السحر، لأن الصحابة الكرام التفوا حول النبي بسبب كماله، والدليل:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٥٩)

أي باتصالك بالله استقرت الرحمة في قلبك، فانعكست ليناً، فسبب اللين التفاف الناس حولك، ولو كنت منقطعاً عن الله لامتلا القلب قسوة، فانعكست القسوة غلطة، ولانفض الناس من حولك: اتصال، رحمة، لين، التفاف.

انقطاع، قسوة، غلطة، انفاضاص:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٥٩)

#### الداعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك. اللهم اهدنا لصلاح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهلك عنا ستراك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

الله بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركيين، أذل أعداءك أعداء الدين يا رب العالمين، شت شملهم، فرق جمعهم، خالف فيما بينهم، اجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بتدميرهم كما أريتنا قدرتهم في تدميرنا يا رب العالمين، إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

**والحمد لله رب العالمين**